كنيستي ..

مَـن سَـيحمِل لِـواءَ النُّبـوّة ؟

تُستعمل كَلِمَة طَقس بحسَب مَعناها الواسع في مجالين، أولهما للدَّلالة على جميع المُمارسات الدينيّة التي يَقومُ بها أتباع ديانةٍ مُعيّنة؛ والثاني لتدل على التَّغيُّرات المناخيّة عَبرَ الأيّام والفصول. وبين هذا وذاك، نَسَجَت الكنيسة سَنَتَها الطقسيّة لِتُحاكي بها إلى حَدٍّ ما التَّبدُّلات المناخيّة مُعتَمِدَةً في ذلِكَ على خُبرَة مَنْ سَبَقَها. فمَعَ حلولِ فَصل الخَريف من كُلِّ سنة وما يَحمِلُه مِن معانٍ، تُضمر الطبيعة طاقتها بين حناياها لِتُطلِقها مِن جديد في الرَّبيع التَّالي. وكذلِك تَختَتِمُ الكَنيسة سَنَتَها الطَّقسيّة وتَستَعِد لِسنةٍ جَديدة في زَمَنِ تَقديس البيعة وتَجديدها من خلال رؤيةٍ ذاتيّة بالتَّوبة والنَّظر إلى ما عاشَتْهُ في ضوءِ حَياةِ يسوع المسيح مُعلِّمها وعَريسِها مُجدِّدةً الوَعدَ مَعَهُ ، عَازِمةً على تَجاوزِ ضَعفِها البَشري لكي تَخرُج عن كونِها مؤسّسة لِمُمارسة التَّديُّن إلى شَعبٍ مَدعوٍ ليعيشَ الإيمان لا كَنشاطٍ انفعالي يُمارَسُ كُلَّما سَنَحَت له الفُرصة بذلك، بل كتَجربة كخُبرة حياتيّة مُعاشَة في واقعها اليومي وعلى مدار السَّنة، دونَ أنْ تسقُطَ في الرَّتابَةِ والتِّكرار الخالي من أي هدف نابع عن حاجة.

إنّها خُبرة مُتميِّزة لا تَتَحَقَّق بسهولة إلا إذا أدرَكَت الكَنيسة غايتها في ضوءِ خُبرة الشعب مع موسى وبالمُصالحة التي أتَمَّها يسوع (موسى الجديد) مع الآب في ملءِ الأزمِنة. هكذا إذًا **تكونُ الكنيسةُ نَبيَّةَ عَصرِها!** وهذه المسؤوليّة الأساسيّة تَقَعُ على عاتِقِ الكَنيسةِ بجميع مؤمنيها ولا تَقتَصِرُ على دور الأُسقف أو الكاهن أو العلماني كُلٌّ بمُفرده.

وتَتَّضِح هذه المسؤوليّة مِن خِلال مَفهوم النُّبوّة في العهد القديم، فالنَّبي هو الضمير اليَقِظ والصَّوت المُنادي وسطَ الشَّعب و أمام الملك على حَدٍّ سواء، مُرشِدًا ومُحذِّرًا ومُعِدًّا لِتدخُّل الله في أحداث التاريخ. و لأنَّ إرادة الله تَنشُر السَّلام على الأرض وتَزرَعُ المَسَرّة في قلوب البشر، فالأنبياء هُم إذن أولئك الذينَ يَسعَونَ لِخيرِ الشَّعب حتّى لو رُفِضوا وقُتِلوا. ويسوع، أيضًا، عندما تَكلَّم إلى تلاميذه ، دَعاهُم أن يكونوا نورًا للعالم ومِلحًا للأرض وأن يَزهدوا بكُلِّ شَيءٍ لتوسيع ملكوته على الأرض. إنَّ كنيسةَ اليوم هي وريثةُ الجماعة المسيحيّة الأُولى، إنها مُختارةٌ ومَدعوةٌ لتكونَ صوتَ منادٍ في العالم لِتُعدَّ البشَر لاستقبال كلمة الله في حياتهم. دون شكّ إنَّ دعوتَها واضِحةٌ، لكن إذا ما فَشِلَتْ بها، فسوفَ تعيشُ في قَطيعة مع مؤسِّسها وعمودِ خَيمَتِها يسوع المسيح .في حين أنّها مُختارَةٌ لِعَيشِ الوَحدةِ مَعَ عريسِها من خلال دورها النَّبويّ والذي يَتجلَّى بصيغٍ

مُتعَدِّدة سواءٌ من خلالِ صلاتِها الليتورجيّة، أم نَشاطاتِها الراعويّة التربويّة أم شهادتِها لِلحقّ باتِّخاذ المواقف المثاليّة التي لا تخلو من الجَرأة في قضايا تَهمُّ المجتمع بشكلٍ عام. كُلُّ هذهِ الصِّيغ تَنصَبُّ بشكلٍ أساسي في جَعلِ واقعِها اليومي حَياة قَداسةٍ متواصلةٍ.

إنَّ النَّبي يُشبه الفَنان الذي يستطيع أن يَكتَشِفَ مكنونات الأشياء ويُترجمَها إلى صِيَغ مُباشِرة سَهلة القُبول مِنَ الآخرين ، هكذا الكنيسة النبيّة تكتشف حضور الله في واقعها وتعكسه على أبنائِها لتَرتَقي بهم إليه، وتَكشِفُ لِلعالم أجمع حُضوره.

وهنا علينا الانتباه ، فقد تكون الجهود المبذولة في الاحتفالات الطقسيّة الفَخمَة المُنظَّمَة والنشاط الرعائي مقياسًا – بالنسبة لنا– لحيوية الكنيسة، ولكن فعليًّا، إلى أي مدى تُساهم هذه الجُهود في تَعزيز دور الكنيسة النَّبوّي؟ إذ ليس من الصعب على الكنيسة أن تُنظِّم نشاطًا ذا طابعٍ جماهيري ولكن مِنَ الصعب تَوجيهه بالشَّكل الذي يُمكن أن يُجنى منه ثِمارًا روحيّة تَخدُم مسيرتها خلف معلّمها. وما قاله يسوع عن الشجرة الطَّيّبة يَنطبقُ على كَنائسنا: "مَن ثِمارِهِم تَعرِفونَهُم" (مت ١٦/٧). فلا تَملُّصَ للكنيسة إذًا من دورِها الحَقيقي.

أمام هذه الحقيقة قد نجد أنَّ واقع عملنا هو صَعب. ولكن **مَتى كانت الشَّهادة المسيحيّة سَهلة؟**

ألَم تُواجه الكنيسة عبر تاريخها منعطفات عَكّرَتْ صَفوَ مَسيرتِها وَوَضعَتها على المحكّ في التَّعرُّف إلى إرادة الله الحقيقيّة؟ لكنَّها في كلِّ مرّةٍ كانت لتعي مسؤوليّتها مُجددًا. فما نحنُ بحاجَةٍ إليه إذن هو رؤية صافية لواقعنا ومُستقبَلِنا من خِلال وضع الأمور ضِمنَ إطارِها الصَّحيح. وما علينا أن نَهتَمَّ به أوّلاً، هو أن نكونَ كنيسةً مُصلّية ومُعلِّمَة. إنها القناة الأساسيّة لِمعرِفَة الله، لأجل هذا الهدف حاولنا بجهودِنا المتواضِعة في هذه المجلّة، أنْ نَهتمّ بالصَّلاة الطقسيّة والعائليّة بالإضافة إلى تقديم رؤية جديدة لما نراه مُهمًا في المجال الليتورجيّ كالعِمارة الكنسيّة ومَدى قُدرتِها على مُساعدة المؤمنين في صلاتِهم. ونعالج أيضًا مقالات ليتورجيّة ذات طابعٍ مسكونيّ، فنُقدِّم للقارئ من خلال عرض الطقوس المتنوّعة لكنائسنا، خُبرة آبائنا في الصَّلاة وفي مَعرِفَة سرّ الله. وتزامُنًا مع تكريس قداسة البابا بندكتُس السادس عشر هذه السَّنة للكهنوت، سنَتناول هذا الموضوع على صفحات مجلتنا آملينَ أن نكون قد ساهمنا في إزدهار الحياة الليتورجيّة في كنائسنا. **وكلّ عام والكنيسة في تَجدُّد.**

1

رئيس التحرير